

تفسير البحر المحيط

@ 414 @ .

{ وَأَهْدِيكَ إِلَيَّ رَبِّكَ فَتَدْخُشَنِي } : هذا تفسير للتزكية ، وهي الهداية إلى توحيد الله تعالى ومعرفته ، { فَتَدْخُشَنِي } : أي تخافه ، لأن الخشية لا تكون إلا بالمعرفة ، { إِنزَّمَا يَدْخُشَنِي اللَّيْلَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ } . وذكر الخشية لأنها ملاك الأمر ، وفي الكلام حذف ، أي فذهب وقال له ما أمره به ربه ، وأتبع ذلك بالمعجزة الدالة على صدقه . { فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى } : وهي العصا واليد ، جعلهما واحدة ، لأن اليد كأنها من جملة العصا لكونها تابعة لها ، أو العصا وحدها لأنها كانت المقدمة ، والأصل واليد تبع لها ، لأنه كان يتقيها بيده . وقيل له { ادْخُلْ * يَدَكَ فِي جَيْبِكَ } . { فَكَذَّبَ } : أي فرعون موسى عليه السلام وما أتى به من المعجز ، وجعل ذلك من باب السحر ، { وَعَصَى } : أي تعالى بعدما علم صحة ما أتى به موسى ، وإنما أوهم أنه سحر . { ثُمَّ } : أدبو بر يسوعى ، قيل : أدبر حقيقة ، أي قام من مكانه فاراً بنفسه . وقال الجمهور : هو كناية عن إعراضه عن الإيمان . { يَسْءَى } : يجتهد في مكابدة موسى عليه السلام . { فَحَشَرَ } : أي جمع السحرة وأرباب دولته ، { فَذَادَى } : أي قام فيهم خطيباً ، أو فنادى في المقام الذي اجتمعوا فيه معه . { فَقَالَ أَنْزَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى } ، قال ابن عطية : قول فرعون ذلك نهاية في المخرفة ، ونحوها باق في ملوك مصر وأتباعهم . انتهى . وإنما قال ذلك لأن ملك مصر في زمانه كان اسماعيلياً ، وهو مذهب يعتقدون فيه إلهية ملوكهم ، وكان أول من ملكها منهم المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي عبيد الله ، ولاهم العاضد وطهر الله مصر من هذا المذهب الملعون بظهور الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بن سادي ، رحمه الله تعالى وجزاه عن الإسلام خيراً . . . { فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْخِرَّةِ وَالْأَوْلَى } ، قال ابن عباس : الآخرة قوله : { مَا عَلِمْتُمْ لَكُمْ مِنْ إِيَّاهِ غَيْرِي } ، والأولى قوله : { أَنْزَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى } . وقال ابن زيد : نكال الآخرة بالحرق ، والأولى يعني الدنيا بالغرق . وقال مجاهد : عذاب آخرة حياته وأولادها . وقال أبو زرير : الأولى كفره وعصيانه ، والآخرة قوله : { أَنْزَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى } . وقال مجاهد عبارة عن أول معاصيه ، وآخرها : أي نكل بالجميع ، وانتصب نكال على المصدر والعامل فيه { فَأَخَذَهُ } لأنه في معناه وعلى رأي المبرد : بإضمار فعل من لفظه ، أي نكل نكال ، والنكال بمعنى التنكيل ، كالسلام بمعنى التسليم . وقال الزمخشري : { نَكَالَ

الأخررة { هو مصدر مؤكد ، ك { وَعَدَدَ اللَّهَ } ، و { صَبَّغَةَ اللَّهَ } ، كأنه قيل : نكل □ به نكال الآخرة والأولى . انتهى . والمصدر المؤكد لمضمون الجملة السابقة يقدر له عامل من معنى الجملة . { إِنََّّ فِي ذَلِكََ } : فيما جرى لفرعون وأخذه تلك الأخذ ، { لَعِبْرَةٌ } : لعظة ، { لَمَّنَ يَخْشَى } : أي لمن يخاف عقوبة □ يوم القيامة وفي الدنيا . .

قوله عز وجل : { أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءَ بَدَاهَا رَفَعَهَا * رَفَعَهَا سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا * وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا * وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا * أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا * وَالْجِبَالَ أُرْسَاهَا * مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ * فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامِثَةُ الْكُبْرَى * يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى * وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى * فَأَمَّا مَن طَغَى * وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى * وَأَمَّا مَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى * يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا * فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا * إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا * إِنَّ زَمَّانَ أَنْتَ مُنذِرٌ مَّن يَخْشَاهَا * كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبِثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا } . .

الخطاب الظاهر أنه عام ، والمقصود الكفار منكر والبعث ، وقفهم على قدرته تعالى . { أَشَدُّ خَلْقًا } : أي أصعب إنشاء ، { أَمِ السَّمَاءَ } ، فالمسؤول عن هذا يجيب ولا بد السماء ، لما يرى من ديمومة بقائها وعدم تأثيرها . ثم بين تعالى كيفية خلقها . { رَفَعَهَا سَمَكَهَا } : أي جعل مقدارها بها في العلو مديداً رفيعاً مقدار خمسمائة عام ، والسك : الارتفاع الذي بين سطح السماء التي تليها وسطحها الأعلى الذي يلي ما فوقها ، { فَسَوَّاهَا } : أي جعلها ملساء مستوية ، ليس فيها مرتفع ولا منخفض ، أو تممها وأتقن إنشائها بحيث أنها محكمة الصنعة . { وَأَغْطَشَ } : أي أظلم ، { لَيْلَهَا } . { وَأَخْرَجَ } : أبرز ضوء شمسها ، كقوله تعالى : { وَالشَّمْسُ مَسْرُوحَاهَا } ، وقولهم : وقت الضحى : الوقت الذي تشرق فيه الشمس . وأضيف الليل والضحى إلى السماء ، لأن الليل ظلها ، والضحى هو نور سراجها . . { وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكََ } : أي بعد خلق السماء وما فعل فيها ، { دَحَاهَا } :